واشنطن والقناص

بقلم الكولونيل شربل بركات

يتصدر منذ أكثر من أسبوع صفحات الجرائد الأميريكية وأحاديث الإذاعات والتلفزيونات بطل جديد كبعض بن لادن هو "القناص". هذا القناص يبدو من نفس الفئة التي ألحقت بانفجارات نيويورك رسائل مفخخة بغبار جراثيم الأنتراكس ففعلت فعلها في المجتمع النائم على حرائر الأمن والرفاهية وجعلته يترحم على أيام أزمة كوبا أو حتى فيتنام. ولو أن عدد القتلى لم يتجاوز بعد أصابع اليدين إلا أنه يضرب راس العالم الحر ومركز القرار المنفرد ومعقل أعظم أجهزة المخابرات وما لف لفها، وتلك هي المشكلة. فهل يكون هذا القناص فرداً يريد تعكير الأمن ؟ أم مهووسا يريد تسجيل النقاط؟ أم تنظيما يريد خلق القلاقل ؟ أم أنه يبعد عن كل ذلك ليماشي العقل العربي فيدخل من طاقة أجهزة الدولة عينها ليبرر كما يحلو للخيال "القحطاني"، ضرب العراق ووقف ثورة الحجارة والمنتحرين وفرض حلول الذل على العرب ؟

كل الطروحات قابلة للتداول ما دامت أجهزة الأمن الأميركية لم تقبض بعد على المجرم أو الإرهابي أو المعتوه، وما إلى هنالك. وقد لا يهمنا من يكون أو ما هي خلفياته. ولكن موضوع القناص بحد ذاته يهمنا كثيرا كلبنانيين لأنه يذكرنا بهؤلاء المرتزقة الذين استأجرهم عرفات وجماعته يومها ليقطعوا الطريق بين الغربية والشرقية وقد احتلوا كل البنايات العالية التي تطل على الشطر الشرقي من العاصمة حيث يمكن إصابة كل من يتحرك باتجاه الغربية أو حتى باتجاه الشرقية. وقد دخل القناص في صلب حياة اللبنانيين مدة سنة تقريبا ومن لا يذكر شويف الأخوي وتعليماته اليومية عن "الطرق السالكة والآمنة".

في بيروت عرفنا فوراً من هم القناصون ومن يقف خلفهم فلم يكن بعد "للسر مطرح" وكان ما يدور في الفكر يخرج على الألسن لأن الخوف من الأجهزة والملاحقات لم يكن يسكن بيوت اللبنانيين مثلما يسكنها اليوم. وحتى مع عرفات ومخربيه لم يهب اللبنانيون يوما أي تنظيم أو جهاز أمن وكان هناك دوما ملجأ لكل طالب لجوء، وإذا ما كانت خطيئته عظيمة ولم يسعه لبنان كان ساعة إذن يهرب إلى الغرب المستريح من هموم المعارك اليومية.

مرتزقة عرفات وغيره وقناصة شوارع بيروت كانت قد كتبت عنهم الجرائد والمجلات وكانت المجلة الفرنسية المعروفة "باري ماتش" قد أجرت لقاء مع أحد هؤلاء في نيسان ١٩٧٦ وقد كان فرنسي الجنسية يعمل في بيروت لتقتيل الناس تبعا "للكونترا" التي أتفق معه عليها وهي ليست "مقطوعة" شهرية بل على الرأس فلم يكتف المجرمون بأن حولوا أيام بيروت رعباً وقلقاً إنما كانوا يريدون قتل أكبر عدد من المواطنين ليقوقعوا الناس ويمنعوا التواصل فتسهل عملية التغطية التي كانوا يريدونها لحروبهم ضد لبنان فتصبح حرب لبنان حرباً داخلية لا شأن لهم فيها وهم عندما يتدخلون "يا حرام" فذلك فقط من أجل "الصلح والسلام".

قناص واشنطن كما السيارات المفخخة والطائرات المنتحرة وكل أشكال الرعب الأخرى، أيها الأحباء الأمريكيون، عاشها اللبنانيون وذاقوا طعمها وهم وحدهم في العالم يعرفون معنى الألم الناتج عن هذه الأشكال الإرهابية، ووحدهم استطاعوا الصمود. وبالرغم من أن قناصة بيروت قد قتلوا آلاف اللبنانيين وخاصة المسيحيين منهم فقد ذهب القناص وبقيت بيروت وظل التواصل بين شطريها، لكن خيمة الإرهاب التي لزمتها

الولايات المتحدة أمن لبنان لم تزل تستعمل "القطع" و"الوصل" لصالحها لتبقي على التزامها وتستمر "الكونترا". فقد هالهم أنه بخروج الفلسطينيين المسلحين عاد اللبنانيون والتحموا فاستبدلوا هؤلاء بحزب الله الذي لا يمكن أن يرضى عنه الشيعة أنفسهم فكيف بالسنة والمسيحيين والدروز وغيرهم من فئات المجتمع اللبناني؟ ولكنهم فرضوه، وفرضوه بطلاً إرهابياً يمثل وطن الأرز وأبناءه المسالمين ويكون لهم العصا التي تربي وتردع المطالبين برفع احتلالهم.

قناص واشنطن سوف يصمت بالتأكيد فالولايات المتحدة وعلى رأسها جورج بوش لن تقبل بأن يذلها هذا الشكل الآخر للإرهاب وسيكون ردها بالطبع كما في أفغانستان في مطرح آخر من مطارح الإرهاب العالمي فهي ليست "مسيحيي لبنان" ويدها طويلة ولديها وسائل الدفاع عن مواطنيها وعن حريتها واستقرارها ولن ترضى بأن يمارس فيها أي شكل من أشكال الإرهاب. ولكن الخطر باق على كل الديمقراطيات وحتى تلك التي قبلت بأن ترفع نصرالله أمس، في اجتماع الفرنكوفونية، إلى رتبة رجال الدين الذين يمثلون لبنان. وارتضت فرنسا شيراك، التي أنستنا ديغول وذكرتنا بالقناص، أن تجعل من قاتلي المظليين الفرنسيين، العاملين كقوة سلام وليس كقوى احتلال أو امبريالية كما يحلو للعرب دوما أن يسموها، رموزا وطنية تتربع على المقاعد الأمامية في مؤتمرات دولية ولا يستبعد غداً أن تدعوهم إلى باريس للمحاضرة عن "الحرية والأخوة والمساواة" ولما لا فقد لا يكون "روبيسبيير" في نظر بعض الفرنسيين أقل إرهابا من نصر الله. وكما استحق عرفات بالأمس جائزة نوبل للسلام بالرغم من تعاقده مع كثير من القتاصة وغير القناصة لقتل الناس الآمنين في بيوتهم ومنهم شعبه الفلسطيني نفسه الذي لم يشته الأمن واللقمة والاستقرار إلا بعد مجيئه، فقد تكون الجائزة هذه السنة على أبواب نصر الله الذي هجر الجنوبيين وفتح دولته الخاصة في الجنوب ودمر القرى وأمن الناس كل مرة كان يريد أن يظهر فيها بطلا، وربما الحبل على الجرار، من يدري؟

٢٠٠٢/١٠/١٩